خطبة صلاة الجمعة 12/7/2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(تيسير الزواج –3–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وحَفَدَةً ورَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

وقال سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته**»، قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسِب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

وأخرج الإمام الترمذي عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي**».

هذه الخطبة العاشرة في سلسلة خطب عنوانها: (**الحياة الأسرية**)، تتحدث عن أهمية الأسرة وقِيَمِها وطريقةِ بنائها في الإسلام وحقوق وواجبات أفرادها وخطط أعداء الإنسان في هدمها وطرق حمايتها.

عنوان خطبة اليوم: **تيسير الزواج –3–**

لما كانت الأسرة حصنَ الفرد وسياج المجتمع، ولما كانت المجتمعات ترقى برقي أسرها، وعكسه بعكسه، ولما كان العقد الوحيد الذي ينشئ أسرة ويحفظها هو عقد الزواج كان لزاماً على كل عاقل وعلى كل مجتمع عفيف دعمُ الزواج وتيسيرُ سبله.

سبق في الخطبتين الماضيتين أربعُ طرق تساعد على تيسير الزواج: نشر القصص الجميلة عن الزواج، والتيسير على الشاب في متطلبات الزواج، وعدم اشتراط ملكية الزوج منزلاً، والابتعاد عن المثالية والأوهام في مواصفات الزوج المناسب.

وفي خطبة اليوم طريقتان: إنشاء مؤسسات اجتماعية لدعم الزواج، وإقامة الدورات التأهيلية للحياة الزوجية، ولن يُعدَم المرء فينا واحدةً من الطرق على الأقل ليعين على نشر الفضيلة ورفع راية العفة وتيسير الزواج.

خامساً: إنشاء مؤسسات اجتماعية لدعم الزواج:

أكرم الله الشام قبل ثمانية أشهر بولادة مؤسسة جديدة اسمها مؤسسة الحياة الأسرية تتبع لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، تهدف لدعم الأسر القائمة والقادمة مادياً وعلمياً وتربوياً، وتعمل على تأهيل الشباب والشابات للزواج، وعلى السعي لإصلاح الخلافات الأسرية، والدعم المادي والعيني للمقبلين على الزواج.

وتسعى هذه المؤسسة فيما تسعى إليه لإشادة صالة أفراح خيرية، وصالة إعارة أثواب العرس وزينته؛ لمساعدة غير القادرين على تحمل نفقات ذلك.

وليست فكرة هذه المؤسسة بمبتدعة، فقد ذكر الرحالة ابن جبير وابن بطوطة في كتبهم العديد من الأوقاف الإسلامية في البلاد التي زاروها، والتي حُبِسَت أصولُها ليصرف من ريعها على أهل الحاجة، وقد بلغ إتقان النظام الوقفي ما جعل بعض تلك الأوقاف تقدم خدماتها لأكثر من ألف سنة.

فمنها: أوقاف يصرف من ريعها لتزويج الشباب والفتيان العزَّاب ممَّن تضيق أيديهم أو أيدي أوليائهم عن نفقات الزواج وتقديم المهور.

ومنها: قصر بفاس في المغرب العربي كان معداً لإقامة أعراس المكفوفين، فكلما اقترن كفيف بنظيرته أقاما بهذه الدار مراسيم الزفاف.

وفي المدينة نفسِها ثلاثةُ دور كبيرةٌ وجميلةٌ معدةٌ لإقامة أعراس الضعفاء والمتوسطين الذين لا يتوفرون على تكاليف حفلة العرس، وقد جُهِّزَت كل واحدة منها بالفرش والأثاث اللائقة بوليمة التزويج، كما أن مواقعها توزعت بين أقسام المدينة؛ فواحدة منها بالعودة، وأخرى بالدرب الطويل، والثالثة في حي العيون، وكانت الدار الأخيرة خاصة بأفراح الأشراف المقلين، وهي ذات مرافق ومنظر وبهاء.

ومنها: أوقاف خاصة بتزويج من نشأ يتيماً، ذكرها ابن جبير في رحلته خلال وصفه لمدينة دمشق.

بل وأوقفت أوقاف لإعارة الحليِّ في الأعراس؛ وهو وقف لإعارة الحُلي والزينة في الأعراس والأفراح، يستعير الفقراء منه ما يلزمهم في أفراحهم وأعراسهم، ثم يعيدون ما استعاروه إلى مكانه، وبهذه يتيسَّر للفقير أن يبرز يوم عرسه بحُلَّة لائقة، ولعروسه أن تجلَّى في حُلَّة رائقة، حتى يكتمل الشعور بالفرح، وتنجبر الخواطر المكسورة.

ومنها: أوقاف لإيواء الزوجات الغاضبات؛ وهو وقف يؤسَّس من رَيعه بيت يعدُّ فيه الطعام والشراب، وما يحتاج إليه الساكنون، تذهب إليه الزوجة التي يقع بينها وبين زوجها نفور، وتظل آكلة شاربة إلى أن يذهب ما بينها وبين زوجها من جفاء، وتصفو النفوس، فتعود إلى بيت الزوجية من جديد؛ لأن عدداً من وجهاء المحلة الكبار اشتغلوا بالإصلاح بين الأزواج والتوفيق بينهم.

أيها الإخوة:

إن تأسيس مثل هذه المؤسسات ودعمها ييسر الزواج ويحمي الأسرة ويحصن المجتمع، وقد أفتى أهل العلم بجواز إخراج الزكاة مساعدةً لمن أراد الزواج وهو عاجز عن تكاليفه، وذكروا أن مِن تمام الكفاية التي يُشرَع إعطاءُ الفقير من الزكاة ليصل إليها ما يأخذه ليتزوج به إذا لم تكن له زوجة كما ورد في الأثر عن عمر بن عبد العزيز أنه أمر من ينادي في الناس: "أين المساكينُ؟ أين الغارمونَ؟ أين الناكحونَ؟" أي: الذين يريدون الزواج، وذلك ليعطيهم من بيت مال المسلمين.

سادساً: إقامة الدورات التأهيلية للحياة الزوجية:

مما يعين على تيسير الزواج ودوامِه الدورات التأهيلية للحياة الزوجية، التي تؤهل طرفي الزواج لتحمل مسؤولياته ولقبول الاختلاف فيه، وتعرِّفُ كلاً منهما ماذا يريد زوجه منه، وتعلمهما الأحكام

الشرعية الكافية المتعلقة بالزواج، وتدل كلا منهما على الطريقة الصحيحة لاختيار الزوج، وتعلمهما فنون التعامل مع المشكلات الأسرية، وتزودهما بآليات التعامل مع مالية الأسرة.

يعلم بعضكم أيها الإخوة أنني بفضل الله ومنذ عام 2007 أقيم دورات تأهيلية للحياة الزوجية لشبابنا المقبلين على الزواج والمقبلات، وقد ألفت فيها كتاباً عنوانه الدورة التأهيلية للحياة الزوجية.

أعلنت مرةً عن عقد دورة جديدة على صفحات التواصل فكتب أحدُ الإخوة معلقاً يقول: (أكرمني الله تعالى بحضور الدورة قبل زواجي، وكان لها فضل كبير في استمرار حياتي مع زوجتي بهناء... أنصح الجميع بحضورها، وتطبيق النصائح التي سوف تُقَدَّم فيها).

إنّ ارتفاع نسب الطلاق وتفشي ظاهرة الطلاق في السنة الأولى، وإنّ ضعف التأهيل داخل الأسرة فضلاً عن التأهيل السلبي خارجها، وإنّ استهداف الأسرة من قبل أعداء الإنسان، وإنّ حال الأسر عند غيرنا؛ كلُّ هذا الواقع الأليم يستصرخنا لإقامة دورات تأهيلية للحياة الزوجية نحمي بها أسرنا وننشئ بها أسراً جديدة صحيحة.

وإنني أدعو كلَّ ذاهب إلى الزواج من أبنائنا وكل بنت من بناتنا يقرع بابها الخاطبون ألا يمضي أحدهما نحو هذا الدرب حتى يلتحق بهذه الدورة، وتقوم اليوم مؤسسة الحياة الأسرية مشكورةً ومثلها جمعية إعفاف بعقد هذه الدورات، كلما انتهت دورة بدأت أخرى.

أيها الإخوة:

كلما زاد النكاح قلَّ السفاح، وكلما كثر الزواج زادت العفة، ومن هنا وجب على كل عاقل وعلى كل مجتمع عفيف دعمُ الزواج وتيسيرُ سبله، وهذه ست طرق تساعد في تيسير الزواج:

نشر القصص الجميلة عن الزواج، والتيسير على الشاب في متطلبات الزواج، وعدم اشتراط ملكية الزوج منزلاً، والابتعاد عن المثالية والأوهام في مواصفات الزوج المناسب، وإنشاء مؤسسات اجتماعية لدعم الزواج، والدورات التأهيلية للحياة الزوجية.

أكتفي بهذه الطرق الستة في هذه السلسلة من الخطب على أنني عرضت في سلسلة العفاف الاجتماعي المنشورة على موقعي خمسين طريقة لتيسير الزواج، ونحن جميعاً مدعوون لتيسير الزواج ودعمِه حفاظاً على أنفسنا وأسرنا ومجتمعنا وديننا.

واذكروا أنّ الزواج عبادة، وأنّ الحفاظ على الأسرة دين، وأنّ دعم الأسر القائمة والقادمة صدقة جارية.

(من مراجع الخطبة: رحلة ابن جبير، والدارس في تاريخ المدارس، والدورة التأهيلية للحياة الزوجية)

والحمد لله رب العالمين